



ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجــلَّة الرَّاســخون

مجـلَّة عـالمـيَّة محـكَّمة

ISSN: 2462-2508

volume7, Issue1, march 2021

الإصدار السابع، العدد الأول، مارس 2021



مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار السابع، العدد الأول، مارس 2021

أولًا: الدراسات الإسلامية

ثانياَ: الدراسات اللُغويةَ

ثالثاَ: الدراسات التربوية

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المشارك الدكتور/ أحمد علي عبد العاطي.
- الأستاذ المشارك الدكتورة/ أمل محمود علي
- الأستاذ المشارك الدكتورة/ إيمان محمد مبروك قطب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ حساني محمد نور.
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الكريم أحمد مغاوري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله رمضان خلف مرسي.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ عبد الله يوسف.
- الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر خضر ميلاد.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الواسع إسحاق ناصر الدين.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عمر محمد دين.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد إبراهيم محمد بخيت.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب عزب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد عبد الله عباس الشال.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد مصطفى أحمد شعيب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد النجار.

Arrasikhun Journal, Volume 7, Issue 1, March 2021

ISSN: 2462-2508



عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي عند اليهود

–دراسة تحليلية–

د/محمود عبد الله عباس الشال

أستاذ مساعد بقسم الدعوة – كلية العلوم الإسلامية

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

moud.elshl@yahoo.com

الملخص

تعد عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي لليهود من أخطر العقائد التي تبين لنا سلوكهم وتعاملهم مع الآخر، وهى من ضمن القيم والقواعد والمبادئ الخاصة المستمدة من تراثهم الديني، هذه العقيدة تجمع اليهود حولها، وتوحد بين أفكارهم وطموحاتهم وأحلامهم المستقبلية، وهذا التفرد منبعه النظرة العنصرية التي تقسم البشر إلى قسمين مختلفين في المكانة والتكوين، بحيث يسمون القسم الأول – اليهود – ليحتكر الصفة الإنسانية فيه، بينما ينحطّ القسم الآخر – غير اليهود – الى مستوى الطبيعة الحيوانية البهيمية – وفق زعم اليهود، فالنظرة العنصرية اليهودية للآخر هي التي حددت سلوكهم تجاه الآخرين، ولم تكن تلك النظرة سراً بالنسبة لديهم، بل إنهم يجاهرون ويعتزون بها على أنها منهج حياة، وجزء من عقيدة صنعت لهم ماضيهم، ورسمت لهم مستقبلهم الذي يحلمون به، ويعملون على تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: الاختيار، العهد القديم، التلمود.



Abstract

The doctrine of divine choice and preference for the Jews is one of the most dangerous beliefs that show us their behavior and their dealings with others, and it is among the special values, rules and principles derived from their religious heritage, this belief brings together Jews around it, and unites their ideas, aspirations and dreams for the future, and this uniqueness stems from the racist view that divides people To two different parts in stature and composition, so that the first part - the Jews - prevails in order to monopolize the human character in it, while the other part - the non-Jews - is reduced to the level of the animal nature of bestiality - according to the Jews' claim. The Jewish racist view of the other determined their behavior towards others, and it was not this view is a secret for them, but they profess and cherish it as a way of life, and part of a belief that made their past for them, and charted for them their future that they dream of, and work to achieve it.

Key words: Selection, Old Testament Talmud.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فإن اليهود يخضعون في سلوكهم وتعاملهم مع الآخر إلى مجموعة من القيم والقواعد والمبادئ الخاصة المستمدة من تراثهم الديني، ولا يمكن لنا أن نفهم الشخصية اليهودية، وكيفية التعامل معها، ما لم نطلع على تلك المجموعة من القيم والقواعد والمبادئ والعقائد التي تشكل الفكر الديني اليهودي، وعقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي ما هي إلا جزء من تلك العقائد التي تفرد بها اليهود عن بقية البشر، وهذا التفرد منبعه النظرة العنصرية التي تقسم البشر إلى قسمين مختلفين في المكانة والتكوين، بحيث يسمون القسم الأول — اليهود — ليحتكر الصفة الإنسانية فيه، بينما ينحطّ القسم الآخر — غير اليهود — إلى مستوى الطبيعة الحيوانية البهيمية — وفق زعم اليهود.

فالنظرة العنصرية اليهودية للآخر هي التي حددت سلوكهم تجاه الآخرين، ولم تكن تلك النظرة سراً بالنسبة لديهم، بل إنهم يجاهرون ويعتزون بها على أنها منهج حياة، وجزء من عقيدة صنعت لهم ماضيهم، ورسمت لهم مستقبلهم الذي يحلمون به، ويعملون على تحقيقه.

لذا اتعرض - إن شاء الله - من خلال هذا البحث إلى جانب من عقائدهم التي يتمسكون بها، من خلال عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي.

وتتركز إشكالية هذه الدراسة حول قضية الاختيار والتفضيل الإلهي عند اليهود وما لها أثر نابع من خلال فكرهم الديني.

ولم أجد في الدراسات السابقة من تحدث أو تعرض لعقيدة الاختيار والتفضيل عند اليهود؛ كبحث مستقل بالعنوان السابق، بل إن هناك دراسة تناولت "عقدة التفوق في الفكر الديني اليهودي وأثرها في الشخصية اليهودية" لإسلام عبد الوهاب الشوابكة، ومحمد الخطيب، تناولا من خلال هذه الدراسة مفهوم هذه العقدة، وأسبابها المتأصلة في جوهر الفكر الديني اليهودي، ومظاهرها، وأثرها في الشخصية اليهودية في التعامل مع الآخر خارج دائرة شعب الله المختار، وتناولا أسباب عقدة التفوق عند اليهود؛ منها عقيدة الاختيار والتفضيل.

أما مميزات الدراسة الحالية، فإنها تتخصص في موضوع عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي عند اليهود من خلال دراسة وتحليل النصوص الدالة على ذلك؛ من مصادر اليهود وكتبهم المقدسة، باعتبارها القاعدة الأساسية التي تنطلق منها نظرة اليهود لأنفسهم ولغيرهم، وتوعية القارئ بمدى تأثير هذه العقيدة في تشكيل الشخصية اليهودية، وتأثير هذه الشخصية في الواقع المحيط بها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الأسباب والدوافع التي أدت إلى اعتقاد اليهود بتفضلهم واختيارهم على سائر البشر من خلال دارسة النصوص الدالة على ذلك من كتبهم ومصادرهم المقدسة.

أهداف الدراسة:

1- إلقاء الضوء على عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي.

2- موقف الإسلام من هذه العقيدة.

3- حاجة المكتبة العربية والإسلامية لمزيد من هذه الدراسات.

تساؤلات الدراسة:

- ما هي شروط التفضيل والاختيار؟

- هل كان لهذا التفضيل والاختيار أسباب وشروط، أم أنهم فُضلوا لمجرد نسبهم؟

- هل تحققت تلك الشروط فيهم؟ وإن تحققت في زمن ما، فهل ما زالت متحققة فيهم إلى الآن؟

منهج الدارسة:

لقد تطلبت الدراسة فى هذا البحث عدم الاكتفاء بمنهج واحد من مناهج البحث العلمي، بل اقتضى الأمر استخدام منهجين من مناهج البحث العلمي ؛ حتى يمكن الوصول إلى النتائج الصحيحة، ومنها:

1- **المنهج الوصفي:**

حيث استخدمت هذا المنهج من خلال عرضي لنصوص العهد القديم والتلمود والكتب اليهودية في مجال موضوع البحث حتى يمكن التعرف على هذه العقيدة.

2- **المنهج التحليلي:**

وقد استخدمت هذا المنهج فى تحليل رؤية اليهود لعقيدة الاختيار والاصطفاء.

خطة البحث:

يقع البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

تناولت في المقدمة أهمية البحث، والدارسات السابقة، وإشكالية الدراسة، وأهداف البحث والمنهج المستخدم، وخطة الدراسة.

والتمهيد: خصصته لتحديد بعض مفاهيم مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي من خلال كتبهم المقدسة.

المبحث الثاني: الرد على التفضيل والاختيار من القرآن الكريم.

وخاتمة البحث وأهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بمفردات الدراسة:

التعريف ببعض مفردات الدراسة؛ لتتكون في ذهن القارئ صورة أولية عن مراد الباحث من عنوان بحثه، أتناول هذا التعريف على النحو الآتي:

أولا تعريف العقيدة لغة واصطلاحا:

العقيدة لغة:

تشتمل كلمة العقيدة على المعاني التالية: "اعتقدت كذا: عقدت علية القلب والضمير حتي قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به وله، وعقيدة حسنة سالمة من الشك"[1]، "واعتقد كذا: صدقه، وعقد عليه ضميره، والعقيدة: ما عقد عليه القلب"[2].

---

(1) أحمد بن محمد بن على الفيومي المقرئ (770هـ)، المصباح المنير، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بدون تاريخ، مادة عقد، صـ 421.

(2) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1971م، م 6، صـ 518.

وعلي هذا، فالمعني اللغوي للعقيدة، يفهم منه أن العقيدة أو الاعتقاد، هو ما ينتمي إليه صاحبة انتماء قويا، يملئ قلبه وضميره.

العقيدة اصطلاحاً:

العقيدة: "هي مجموعة من القضايا البديهية، المسلمة بالعقل والسمع، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازماً بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً"(1).

ثانيا: مفهوم الاختيار:

الاختيار: معناه الاصطفاء، والإيثار، والتفضيل، حيث جاء في لسان العرب: "خير: الخَيْرُ: ضد الشر، وجمعه خُيور. وخارَهُ على صاحبه خَيْراً وخِيَرَةً وخَيَّرَهُ: فَضَّله. قال الله تعالى: ﴿ **وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ** ﴾ (التوبة: 88)، جمع خيْرة وهي الفاضلة من كل شي.

وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ** ﴾ (الأعراف: 155)، والاختيار: الاصطفاء وكذلك التَّخَيُّر(2).

مما سبق يمكن تحديد مفهوم الاختيار بأنه يكون لخير وفضل في المختار جعله مصطفى ومفضلا علي غيره.

وبناء عليه، يرى الباحث أن الاختيار هو اصطفاء شخص أو شيء؛ لفضله ولما انفرد به من خصائص فاق بها غيره، وذلك فى الأشخاص والأمم والأماكن، قال تعالي: ﴿ **وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ** ﴾(طه: 13).

الاختيار في الكتاب المقدس:

الاختيار: "يَخْتَار، مُخْتَار، اخْتِيَار: اقترنت كلمة "مختار" ببعض الأشخاص في العهدين القديم والجديد"(3).

وجاء في إشعيا: " أُخْرِجُ مِنْ يَعْقُوبَ نَسْلًا وَمِنْ يَهُوذَا وَارِثًا لِجِبَالِي، فَيَرِثُهَا مُخْتَارِيَّ، وَتَسْكُنُ عَبِيدِي هُنَاكَ"(4)، "وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ"(5)، وجاء في العهد الجديد عبارات تحمل معنى الاختيار كقوله " الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ"(6).

وتدل هذه النصوص الكتابية وغيرها على أن الاختيار عمل من أعمال الله يقصد به أن يختار قومًا من البشر ويخلصهم لكي تكون لهم علاقة خاصة(7).

الاختيار في العهد القديم:

يظهر الاختيار في العهد القديم في أن الله اختار جماعة خاصة لعرض خاص: "وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ" (8)، " وَعَبْدُكَ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ، شَعْبٌ كَثِيرٌ لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ"(9).

---

(1) أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، مطبعة الحلبي، بدون تاريخ، ص 19 بتصرف.

(2) ابن منظور(711هـ)، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط1، د.ت،م4، باب الخاء، ص 264- 267، بتصرف.

(3) قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من علماء اللاهوت، مجمع الكنائس في الشرق الأدني، بيروت، لبان، ط2، 1971م، ص 351- 352.

(4) إشعيا: 9/65.

(5) إنجيل متى: 24/ 22.

(6) رسالة بطرس الرسول الأولى: 5/ 13

(7) قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص 351 بتصرف.

(8) التثنية: 4/ 37.

(9) الملوك الاول: 3/ 8.



وكثيرا ما يذكر الله هذا الشعب بأن اختياره له لا يتوقف على فضيلة فيه أو على استحقاق من جانبه إنما تمّ نعمة من الله وفضلا: "لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" (1).

الاختيار في العهد الجديد:

يشار إلى أن البشر الذين هم غاية الاختيار هم جماعة المخلصين المفديين، وهؤلاء هم شعب الله الخاص، والجنس المختار الجديد الذي حل محلّ الشعب المختار في العهد القديم، ولذا فلهذا الشعب الجديد امتيازات خاصة كما أن له مسؤوليات خاصة تتعلق بمكانته في ملكوت الله وخدمته لذلك الملكوت.

والامتيازات التي يمنحها الله لهذه الجماعة لا تنبعث منها ولا تنبثق من ذاتيتها، بل إنها نعمة من الله يهبها، فضلًا وعلى غير استحقاق من جانب المنعم عليهم، فهي عمل إلهي خالص تتم فيه شروط وامتيازات العهد الجديد التي تحدث عنها إرميا وما بعده: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ"(2).

فإن خطايا هذا الشعب لا تذكر فيما بعد، وإن شريعة الله ستكتب في قلوبهم، ثم إن من تسمّى باسم يسوع المسيح دون أن يكون له نصيب من روح المسيح وحياته فهو ليس من المسيح في شيء: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ، وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ" (3)، فالجماعة المختارة بحسب تعليم العهد الجديد هي إذا شركة أفراد كل منهم، شملته نعمة الله المجانية التي تظهر في حياة جديدة يمنحها الله لهذا الفرد(4). وجاء في رسالة بطرس: "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً..."(5).

من خلال ما سبق نجد أن تعريف الاختيار في الكتاب المقدس على وجه واحد، حيث تم بيان معنى الكلمة فى العهد القديم والعهد الجديد، فتم ربط الاختيار فى العهد القديم ببعض الأشخاص وببني إسرائيل عموما، فكانوا فى العهد القديم شعب الله المختار.

ثالثاً: مفهوم التفضيل ومجالاته:

التّفضيل في اللغة: "مصدر فَضَّلَ يُفَضِّلُ بالتضعيف، يقال: فَضّلتُهُ على غيره تَفضيلاً، أي حكمت له بذلك وصيرته كذلك، وجعلته أفضل منه، وأفضل عليه: زاد(6)، فهو يدل على زيادة في شيء، ومن ذلك الفضل: الزيادة، يقال: "فَضَلَ الشيء يَفضُل، وربما قالوا: فَضِل يفضُل

(1) التثنية: 7/ 6.

(2) إرميا: 31/ 31- 32.

(3) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 9/8.

(4) قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص 351.

(5) رسالة بطرس الرسول الأولى: 1/ 3.

(6) انظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب المحيط، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت، جـ 2، ص 1105 .

وهي نادرة"[1]، والفضل في القدر غير التَّفَضُّل الذي بمعنى الإفضال والتطوّل[2]؛ ومن الأول قوله تعالى:﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (المؤمنون: 24)، ويعدى بحرف الجر (على) قال عز وجل: ﴿ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء: 70) قيل: "تأويله أنّ الله فضّلهم بالتّمييز"[3]. يلاحظ أنّ الجذر (ف . ض . ل) في المعجم لا يدل إلا على الزيادة الحسنة في مدح أو كمال، لكن هذه الزيادة في الاصطلاح يراد بها الزيادة المطلقة في كمال أو نقص.

والفضل في اللغة ضد النقص، "والفضيلة هي الدرجة الرفيعة العالية، وأفضلَ عليه في الحسب أي زاد"[4]،وفلان "يتفضل على قومه أي يدعي الفضل عليهم والمفضول هو المغلوب"[5].

فالمعنى اللغوي يرجع إلى الزيادة وهي ضد النقص، فما يقابلها يدل على النقص، لذلك تستعمل أفعال التفضيل للمقارنة بين شيئين أحدهما أعلى وأرفع من الآخر، وقد يكون التفضيل بين شيئين أو أكثر، ومجالات التفضيل كثيرة، فقد تكون بأمور مادية حسية أو معنوية، كأن يقال: فلان أفضل من فلان من حيث المال أو المسكن أو الملبس، وقد يقال فلان أفضل من حيث النسب أو المنزلة أو العلم وغيرها، وليس المراد من هذا البحث الكلام عن الاختلافات الفطرية والجبلية التي وجدت مع الناس في أصل الخلقة فهو أمر مسلَّم به بين كل العقلاء من أهل الأديان وغيرهم، فهناك تفاوت من حيث الجبلة بين الذكر والأنثى والأبيض والأسود والطويل والقصير، وهناك اختلافات في البيئة واللغة واللون والنسب والحسب، فليس هناك تنازع في إثبات ذلك وإقراره، وإنما المراد الكشف عن أثر هذه الاختلافات في إنسانية صاحبها وحقوقه وواجباته، وهل يمكن أن يكون للوراثة أثر تفضيلي لمجرد الوراثة، وما يقال عن الوراثة يقال أيضا على اللون واللغة والعِرق.

لا ينكر أن العصبية المقيتة والعنصرية البغيضة تجعل صاحبها أسيراً لكبريائه وتعاليه، ينظر إلى نفسه على أنه أرقى الكائنات وأعظم المخلوقات، دمه نقي ولونه بهي وعنصره ثمين، يفضل نفسه على سائر النفوس، ويرى الفضل على غيره دون مسوغات شرعية أو عقلية، ويتفاخر على من هو مثله ويتعالى ربما على من هو أسمى منه علماً وخُلقاً[6].

---

(1)- أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار: الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ - 1979م، جـ 4، صـ 508 .

(2)- انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) تحقيق: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، العين، دار: الرشيد، بغداد، 1402هـ - 1982م، 44/7 .

(3) لسان العرب المحيط، مرجع سابق، جـ 2، صـ 1105.

(4) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 1426هـ - 2005م،صـ 1043.

(5) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419هـ - 1998م، جـ 2 صـ 26.

(6) يراجع بتصرف: التفاضل بين البشر أثر الجنس والعرق والوراثة- دراسة مقارنة بين الشريعة والفلسفة، على الموقع:
https://www.b-sociology.com/2020/07/pdf_16.html

هكذا نظر اليهود إلى غيرهم عبر التاريخ على أنهم مختارون ومفضلون، حيث أسست تلك النظرة على أسس دينية مستوحاة من أساطير فكرهم الديني الذي يقدسونه.

المبحث الأول:

عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي من خلال كتبهم المقدسة

إن أول وأخطر الجذور القديمة على البشر، والتي استند عليها اليهود فى ممارساتهم وسلوكهم ونظرتهم للآخرين هى فكرة الشعب المختار(1)؛ إذ كان لمفهوم الإنسانية ونظرية الاختيار والتفضيل لدى اليهود بالغ الأثر على ممارستهم تجاه الأغيار، إذ زعمت مصادرهم الفكرية أن الله (تعالى عن قولهم) قد اختارهم من بين البشر؛ ليكون لهم إلها دون سائر الناس، ومقابل ذلك يكون له شعبا وأمة مقدسة.

ومن خلال هذا المبحث، ألقى الضوء على عقيدة " عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي " فى فكرهم الديني؛ هذه العقيدة التي توضح الرؤية اليهودية لأنفسهم، وتعكس نظرتهم للآخرين، وكيفية التعامل معهم، ولهذه العقيدة أصول ثابتة فى الكتابات اليهودية المقدسة(2).

حيث اشتملت المصادر اليهودية على جملة من النصوص التي يتعلق بها اليهود ويزعمون أنها تدل على اختيارهم. وأسوقها على هذا النحو:

(1) محمد عزة دروزة، الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم، مكتبة أطلس، دمشق، 1388هـ -1969م، صـ 7.

(2) د. محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 4، د.ت، صـ 172بتصرف.

يعتبر اليهود أنفسهم "شعب الله المختار، وأنهم أحق من غيرهم في السيادة والزعامة والنبوة"(3).

حيث ينظر اليهود إلى أنفسهم على أنهم مختارون ومفضلون على الناس جميعاً، وأن هذا التفضيل جاء بناء على الاختيار والاصطفاء من الله، ولقد كان مستند اليهود في نظرية الاختيار الإلهي لهم، هي نصوصهم التي يقدسونها.

أولاً: العهد القديم(4):

تزخر أسفار العهد القديم بتعابير كثيرة تؤكد اعتقاد اليهود بأن الله فضلهم واختارهم من بين جميع شعوب الأرض، ليكونوا شعبه الخاص الذي نال هذا الاختيار بعد أن أصبح شعبا مقدسا وأزليا ، والنصوص التوراتية الدالة على اختيار الإله لهم كثيرة منها:

"فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، ..... فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"(5). "طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا، الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ"(6).

(3) محمد عثمان شبير، صراعنا مع اليهود فى ضوء السياسية الشرعية، دار: النفائس، عمان، الأردن، 2004م، صـ 17.

(4) العهد القديم: هو المصدر الأول للتشريع في الديانة اليهودية، ويشتمل على ثلاثة أقسام: التوراة، والأنبياء، والمكتوبات، على الترتيب، ويُطلَق عليه اختصارًا مسمى [تناخ-תנ"ך]، حيث إن حرف التاء، يُعبِّر عن الحرف الأول من كلمة "תורה-توراة"، كما يُعبِّر حرف النون عن الحرف الأول من كلمة "נביאים-أنبياء"، فضلاً عن أن حرف الكاف، يُعبِّر عن الحرف الأول من كلمة "כתובים-مكتوبات". والمسَمَّى "تناخ"، مُسمَّى خاص بالعقيدة اليهودية، أما مُسَمَّى "العهد القديم"، فخاص بالعقيدة المسيحية.

(5) التثنية: 10: 12-15.

(6) مزمور:33/ 12.



" إِنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا. فَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" [1]، "وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً"[2].

وجاء في العهد القديم أيضا: " شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: .... أُنَاسٌ أَنْتُمْ"[3]، لقد حصر العهد القديم الإنسانية في اليهود وجعل الإنسان هو اليهودي فقال: "إِلَى مَتَى تَهْجِمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ! إِنَّمَا يَتَآمَرُونَ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ شَرَفِهِ. يَرْضَوْنَ بِالْكَذِبِ. بِأَفْوَاهِهِمْ يُبَارِكُونَ وَبِقُلُوبِهِمْ يَلْعَنُونَ"[4]، والسياق من المزمور الستين إلى هذا يدل على أن المقصود بالإنسان هو اليهودي الذي يتضرع للخلاص ممن ظلمهم، بل ربما الفقرة الثانية عشر من الإصحاح الستين تشير إلى ذلك .

وهذا ما فهمه الحاخامات من تلك النصوص، فكانوا يعملون أن قبور الأمميين لا تسبب الدنس من خلال الوقوف على القبور أو الانحناء عليه، لأنه مكتوب " وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي، غَنَمُ مَرْعَايَ، أُنَاسٌ أَنْتُمْ"[5] فأنتم تدعون أناسا (من آدام– آدميون)، وأما الوثنيون فليسوا يدعون أناسا، وكان كاهن يهودي يقف في مقبرة، فلما سئل عن سبب وقوفه بانتهاك بَيِّن لشريعة موسى، أجاب بأن هذا الأمر مسموح، إذ أن الشريعة تمنع اليهود من ملامسة القبور البشر (الآدميين) فحسب، وأنه كان يقف في مقبرة للأميين[6] وساق الدليل السابق.

ولقد ترتب على ذلك أن جعلوا حق عبادة هذه الإله حصرا فيهم وحقا أصيلا لهم وليس من حق الشعوب الأخرى عبادته، مستندين على ما يقدسون من النصوص التي تقول " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"[7]" وَثَبَّتَّ لِنَفْسِكَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ، شَعْبًا لِنَفْسِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلهًا"[8]، " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"[9]، لكن "هذه العبقرية الصهيونية التي صاغت تلك الركائز جعلت من اليهود شعبا يتفجر حقدا وتشفيا بالعدو الذى يزعم أنه سلبه ملكه، وهذا كان له بالغ الأثر في الممارسات اليهودية القديمة والمعاصرة التي تنطلق من هذه العنصرية البغيضة"[10].

وإن هذه النظرة الخطيرة من العنصرية البغيضة استمدها اليهود من الركائز التي قام عليها كتابهم المقدس؛ فنص التكوين الذى جاء الوعد الإلهي فيه لإبراهيم " بأن يجعله الله لأمة عظيمة مباركة...، وأن يبارك مباركيه، ويلعن

(1) اللاويين: 11/ 45.

(2) الخروج: 19/ 5-6.

(3) حزقيال: 31/34.

(4) مزمور:62/ 3-4.

(5) حزقيال: 31/34.

(6) د. أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا،، ط1، 1427 هـ - 2006م، ص 396.

(7) العدد: 15/ 41.

(8) صموئيل الثاني: 7/ 24.

(9) اللاويين: 25/ 38.

(10) د. إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1988م، ص ص 71،70.



لاعنيه"[1]، والعهد القديم لا يذكر سببا لهذه المباركة ولا لتلك اللعنة مما يجعل منه أساسا صالحا لبناء العنصرية؛ إذ العنصرية تقول: أنا أفضل منك لأنى أنا . فلو اطلعت على العهد القديم من أوله إلى آخره لن تجد فيه تعليل لاستحقاق هذا الجنس المتميز والعهد علما أن ما حدث فى التاريخ العبري مبنى بناء سببيا مباشرا على نظرية الاختيار والعهد الذى لا علة له بل هو علة كل أحداث التاريخ العبري؛ بل هو العلة الأولى التي لا تفسير ولا داعي ولا سبب لها رغم أن الجنس العبري قد اتخذ هذا النص أساسا للانفراد به عن سائر البشر وتفوقهم عليهم وانفراديتهم عن الناس، وأفضليتهم على جميع المخلوقات، لا من وجهة نظرهم هم بل من وجهة نظر الخالق، لذا كان موقفهم من الأمم الأخرى موقف المختار الذى يتمتع بحقوق ليست لغيره وهم لذلك، يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيم عليه السلام ؛ الذى اختير وفضل على العالمين، والاختيار – في نظرهم – ليس لإبراهيم عليه السلام فحسب، بل لأبنائه وسلالته لا لعلة تبرر ذلك الاختيار[2].

بل ذهب اليهود لأكثر من ذلك فجعلوا التفضيل الإلهي لهم عقدا دخل فيه الإله من جانب واحد، لذا فهو ملزم للأبد فمباركة الإله لإبراهيم عليه السلام قائمة مهما حصل إذ هي أزلية لن تتبدل، وأفضلية اليهود –هي الأخرى- أزلية لن تتغير رغم أفعالهم التي لا ترضى الإله الذى اختارهم من بين الشعوب ليكونوا له شعبا ويكون لهم إلها، واليهود يسمون أنفسهم (شعب الميثاق) إشارة إلى هذا العقد أو العهد الإلهي المقطوع لإبراهيم عليه السلام وذريته"[3].

فالعنصرية قد نادى بها العهد القديم منذ العصر الإبراهيمي – حسب الترتيب التاريخي أو السياق السردي للعهد القديم – والتي تمثلت في الاصطفاء للجد والسلالة بدون سبب لهذا الاصطفاء والذى جاء في صورة ميثاق أو عقد ذي اتجاه واحد من قبل الرب.

لذلك يعتقد اليهود إنهم شعب خاص للإله، اختاره الرب وفضله على سائر أمم الأرض، وله علاقة بالإله ليس كعلاقة البشر معه، بل هي علاقة ابن بوالده، فهم أبناؤه (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) والذين ليس له غيرهم فهم يصرحون بأن الرب أبوهم كما قالوا له: " فَإِنَّكَ أَنْتَ أَبُونَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ"[4]. وكذلك ورد فى سفر التثنية أن الرب يصرح بذلك:" أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ.... وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[5]، "يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللهِ الْحَيِّ"[6].

(1) التكوين: 12/ 2-3.

(2) انظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مرجع سابق، صـ صـ 19، 26، 27، محمد عبد الواحد حجازي، منهج اليهود في تزييف التاريخ، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، د. ت، صـ صـ 141،136 والترتيب مقصود.

(3) د. إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مرجع سابق، صـ 20.

(4) إشعيا: 63/16.

(5) التثنية:14/ 1-2.

(6) هوشع: 10/1.



فعقيدة شعب الله المختار أو شعب الإرث أو شعب الكنز عقيدة أساسية في الدين اليهودي، وتعبير آخر عن الحلول الإلهي في الشعب المقدس، والتي تشكل منها التركيب الحلولي المكون من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله فى الأرض، لتصبح أرضا مقدساً ومركزاً للكون، ويحل فى الشعب ليصبح شعبا مختاراً، ومقدساً، أو أزلياً، ولهذا السبب، يشار إلى الشعب اليهودي بأنه الشعب المقدس أو الشعب الأزلي، أو الشعب الأبدي، وقد جاء فى سفر التثنية: " لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ "[1]. " وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ"[2].

" وَالآنَ هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ، خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسْرَائِيلُ: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ. إِذْ صِرْتَ عَزِيزًا فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّمًا، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أُنَاسًا عِوَضَكَ وَشُعُوبًا عِوَضَ نَفْسِكَ. لاَ تَخَفْ فَإِنِّي مَعَكَ. مِنَ الْمَشْرِقِ آتِي بِنَسْلِكَ، وَمِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعُكَ. أَقُولُ لِلشَّمَالِ: أَعْطِ، وَلِلْجَنُوبِ: لاَ تَمْنَعْ. اِيتِ بِبَنِيَّ مِنْ بَعِيدٍ، وَبِبَنَاتِي مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ" [3].

ويفترى العهد القديم استعلاء اليهود فوق جميع الخلق فيقول: " مُبَارِكُكَ مُبَارَكٌ، وَلاَعِنُكَ مَلْعُونٌ"[4] أى: أن بركتهم مستقاة من استعلائهم على جميع شعوب العالم! أي منطق هذا؟! " مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ"[5].

إن عقيدة التفضيل والاختيار أو ما يقوله اليهود عن أنفسهم (أنهم شعب الله المختار)، ترتكز على أسس دينية يقدسونها ويؤمنون بها، لكن إذا نظرنا إلى ما سبق ذكره من نصوص سوف يتضح ما يلى:

1- إن عقيدة الاختيار والتفضيل علاقة تعاهد بدأت بين الرب وإبراهيم عليه السلام، على أن تستمر فى نسله جيلاً بعد جيل، (باستثناء نسله من ابنه إسماعيل عليه السلام)، حيث يقول العهد القديم "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ. فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ.فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ"[6].

---

(1) التثنية: 7/ 6-8

(2) التكوين: 17/ 7.

(3) إشعيا: 43/ 1-7.

(4) العدد: 9/24.

(5) التثنية: 7/ 14.

(6) التكوين: 17/ 18-22.



2- هذه العلاقة التعاقدية تجعل من بنى إسرائيل "شعب الله المختار" من بين شعوب الأرض، وتجعل من الإله، إلها خاصاً بهم، ويعمل فى خدمتهم لا لشيء امتازوا به عن الآخرين، بل لمحبته لهم والتزاماً ليمين حلفها لآبائهم!

3- كما نلاحظ أن هذه العلاقة القائمة على التعاهد مشروطة من قبل إلههم،" فإذا لم يقم بنو إسرائيل بالوصايا والفرائض فلا عهد لهم عند الله ولا اختيار.

4- لم يلتزم اليهود بشروط التعاهد للاختيار ومع ذلك بقى (الاختيار) قائما. مما يوحى بأن تنفيذ الشروط غير ملزمة من جانبهم، وهى ملزمة من قبل إلههم؛ لأنه حلف يميناً لآبائهم، ولا يستطع إلا أن يحافظ عليه، بالإضافة إلى أنه هو الذى اختارهم وهم لم يَخْتَرِوه !

ثانياً: التلمود(1):

إن كان العهد القديم — وفق نصوصه — حصر الإنسانية فى اليهود وجعل من غير اليهود إنسانا مسلوب الإرادة، وعبدا مضيع الكرامة ؛ فإن باقي المصادر الفكرية المعتمدة لدى اليهود والتي يقدسونها تقديسهم للعهد القديم بل أكثر؛ تنحى هي الأخرى نفسى المنحى، وفى مقدمتها التلمود.

ومن أخطر ما في التلمود أنه يقسم الناس إلى صنفين، كما فعل العهد القديم؛ ليعلم كل منصف أن المصادر اليهودية تصدر عن رؤية واحدة للآخر:

الصنف الأول: اليهود وقد اعتبرهم التلمود شعب الله المختار الذين خلقهم ليكونوا سادة الشعوب جميعا وعبر عنهم التلمود بأنهم "الإنسان".

الصنف الثاني: الأمميين أو الجوييم وهو كل من عدا اليهود وقد اعتبرهم التلمود حيوانات خلقوا على هيئة البشر ليسهل تسخير اليهود لهم، وعبر عنهم التلمود بأنهم: الحيوانات — الكفار- الأمميون- الجويون- الأنجاس — البهائم- أولاد نوح، ويعتبر التلمود كل الشعوب ماعدا اليهود وثنيين، وتعاليم الحاخامات مطابقة لذلك، والمراد بالحمار- حسب الفكر الحاخامي- كل من هو غير يهودي(2).

---

(1) التلمود: هو مجموعة الشروح التى وضعها حاخامات اليهود لنص المقرا (التوراة) والشرائع الدينية الواردة فيها. ويتألف التلمود من تلموديينا: 1- التلمود البابلي الذى كتب في بابل فى القرن الخامس الميلادي ويتكون من 37 قسماً. 2- والتلمود الأورشليمي الذي كتب فى طبرية ودون في القرن الرابع الميلادي ويتكون من 39 قسماً. وينقسم التلمود الى قسمين: 1- المشنا: وهو شروح وتفاسير حاخامات اليهود للعهد القديم. 2- الجمارا: وهو شرح ما جاء في المشنا كتبت بالآرامية، – للمزيد انظر: د. محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد 20، القاهرة، 2001م، وانظر: د. رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، صـ 307-308

(2) انظر: د.روهلنج، الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د.يوسف نصر الله. تقديم: د.مصطفى أحمد الزرقا، د. حسن ظاظا، دار: القلم دمشق، ط1، 1408هـ - 1987م، ص ص 66، 105، د. عبد العظيم المطعني، المسحيون والمسلمون فى تلمود اليهود (غرائب وعجائب)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1996، ص ص 4، 5، 10،65، د. محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، 1990م، ص ص 217، 287، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، من التلمود، طبع دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص 74، أحمد بن عبدالله بن إبراهيم الزغيبي. العنصرية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1،1418هـ - 1998م، ص ص 102، 107.



ونظراً لنظرة التلمود العنصرية الضاربة بجذورها فى العهد القديم؛ فإن الجنس البشرى هو الجنس اليهودي فقط، " فالشعوب الذين لم يحافظوا على الوصايا خارجون عن الإنسانية، ومخلقون لخدمة الجنس البشري، أي: اليهود"(1). ولقد كرس التلمود نظرية تفوق العنصر الإسرائيلي واعتبر اليهود الشعب الذى اختاره الله تعالى وفرزه من بين الأمم ليكون له خاصة من بين شعوب الأرض، وميزه عن باقي الأمم(2)، وأن اليهود وحدهم بنوا آدام ؛ لأنهم خلقوا من عنصر مغاير لما خلق الله تعالى منه باقي الأمم؛ فإسرائيل هم هم أبناء الله وأحباؤه، وأرواحهم جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده(3). والفرق بين درجة الإنسان والحيوان بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب(4)، وقال أحد الرابيين: " أيها اليهود، إنكم من بنى البشر؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة"(5).

وبهذا أصبحت نفوسهم أعظم من نفوس سائر شعوب الأرض، وباقي الأمم تشتق نفوسها من الشيطان(6).

لكن النصوص التلمودية التي تناولت عقيدة الاختيار جعلت من الجنس اليهودي جنسا مميزاً عن الأجناس البشرية الأخرى فى التكوين والمكانة وطريقة التعامل مع غير اليهود !

حيث يعتبر اليهود أنفسهم أنهم شعب الله المختار، الذى خلق من عنصر مغاير لما خلق منه باقي الأمم، فإسرائيل هم أبناء الله وأحباؤه، نالوا بركته ورضوانه، وأصبحت الدنيا بما فيها، ومن فيها ملكاً لهم، تؤكد هذه النظرة وتعززها نصوص التلمود وشروح الحاخامات فالتلمود يقول: " إن بنى إسرائيل وحدهم بنو آدم "، ويقول أحد الحاخامات: " بنو إسرائيل أحباء الله؛ لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن الله نفسه سماهم بهذا الاسم فى قوله فى التوراة: أنتم أولاد الرب إلهكم"(7)، أفلم يخص هذا الشعب بالقربى من الله (النّسَابة)؟ فيقول:

(1) د. محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، صـ 55، نقلا عن: جمارة36 من شروحات زريق على التلمود.

(2) د. أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ 218.

(3) د. محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، صـ 200، بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ -1983م، صـ54 بنفس المعنى (أن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله فهى تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه) .

(4) الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف حنا نصرالله، مطبعة المعارف، مصر، ط1، 1899م، صـ51، د. عبد العظيم المطعني، المسحيون والمسلمون فى تلمود اليهود (غرائب وعجائب)، مرجع سابق، صـ 10.

(5) الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف حنا نصرالله، مرجع سابق، صـ53،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، من التلمود، مرجع سابق، صـ صـ 105،44.

(6) بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية،مرجع سابق، صـ54.

(7) د. حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار: القلم، دمشق، دار: العلوم، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م، صـ 111،هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420 - 1421هـ، صـ 153.

ISSN: 2462-2508

" لبنى إسرائيل الشعب القريب إليه"[1] فمن ذا الذى يفلت من سخطه إن هو رفع تجاه أولاده يدا؟"[2].

وبالرغم من شرورهم، فهم يزعمون أنهم أبناء الله على الحقيقة، يقول التلمود: " يُسمى الإسرائيليون (أبناء الله)، والرابى مئير لم يكن يقدم هذه الرابطة البنوية إلا بوصفها الحقيقي،... ولقد قال النبى إرميا: بنون جاهلون، وفى سفر التثنية يشار إلينا بعبارة (هذا الجيل الشرير)، لكننا على أى وجه وحال نبقى نحن (أبنا الله)"[3].

هم "يداومون على كونهم شعبا مختلفا عن سواهم إلى الأبد"، "وإنهم أصفياء الله من سالف الأيام، ولم يقع قط أن نجا من يضهدهم من العقاب"[4]. بل زعم التلمود أن الله اختار لهم داود معللا ذلك بقوله " إن داود ....لهم جدير برعاية قطعيي، أى شعب إسرائيل"" قال الرب: أطلق شعبى"[5] فنسب الرب الشعب إلى نفسه.

لكن يمنح التلمود الصلاح المطلق وإن الله يفاخر بهم، يقول التلمود: " لكل إسرائيل نصيب فى العالم الآتى، وقومك كلهم صالحون، وسيرثون الأرض إلى الأبد لأنهم فرع غرسى، صنع يدى للافتخار!"[6].

ولو "أن بنى إسرائيل تم اجتثاثهم من الوجود، فستزول الدنيا ذاتها بالكلية، لأن بفضل بنى إسرائيل والشريعة المنزلة عليهم تقوم الحياة على الأرض"[7]

وإذا كان الأمر كذلك فإن من يعتدى فيؤذى يهودياً يكون قد ارتكب معصية عظيمة، وذنباً لا يغتفر، وجزاؤه القتل، جاء فى التلمود: " إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أمى إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية "[8]، ويزعم التلمود أن قتل موسى عليه السلام للمصرى كان لهذا السبب، يقول: "يقتل الوثنى إذا ضرب إسرائيلياً؛ لأنه قد يكون ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصرياً؛ لأنه ضرب يهودياً"[9]. انظر إلى هذا التعليل الخطير؟ وكيف تكون نتائجه وأثره فى ممارستهم؟

(1)- مزامير: 14/148.

(2) د. أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ صـ 212،213، وانظر: التثنية:1/14.

(3) التلمود كتاب اليهود المقدس، المرجع السابق، صـ 252، وانظر: عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، دار القلم، دمشق، د.ت، د.ط، صـ 21.

(4) المرجع السابق، صـ صـ 160،211.

(5) المرجع سابق نفسه، صـ صـ 178، 185.

(6) كمال عون، اليهود أعداء الإنسانية من كتابهم المقدس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ - 1995م، صـ 108.

(7) د. أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ 211 بتصرف يسير، وفى هذا النصوص الجلية المصاغة بطريقة توفيقية نموذج حى لعملية النسج النصي، لنسب القدسية والأفضلية لشعب ما دون سواهن ومثل هذه النصوص تحمل بجلاء لمسات المفسرين المضافة إلى التوراة.

(8) الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف حنا نصرالله، مرجع سابق، صـ 51.

(9) هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، مرجع سابق، صـ 153، محمد على الزغبي، دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة. لبنان- بيروت، 1968م، صـ 151، د. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، مرجع سابق، صـ 395.

ويقول التلمود" نحن شعب الله فى الأرض، مسخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ..إن اليهود من عنصر الله، كالوالد من عنصر أبيه ومن يصفع اليهودي كمن يصفع الله " [1].

وتكريسا للعنصرية يزعم التلمود أنه " لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض و انقطع المطر وانحجبت الشمس، ولما أمكن باقى الشعوب أن تعيش"[2]، ويؤكد سفر إشعيا هذه البركة المنحدرة إليهم جميعا بالنص التالي: " وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَيُعْرَفُ بَيْنَ الأُمَمِ نَسْلُهُمْ، وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي وَسَطِ الشُّعُوبِ. كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ أَنَّهُمْ نَسْلٌ بَارَكَهُ الرَّبُّ[3]، لذا فإن الذى يبتلى بهم يقتبس من بركاتهم، ويكون بسببهم مباركا! وهذا زعم خاطئ.

إن عقيدة التفضيل والاختيار فى الفكر الديني اليهودي لها أدلتها الكثيرة في العهد القديم والتلمود، وقد أوردنا بعضاً منها؛ لنדلل على أهمية هذه العقيدة فى حياة اليهود قديما وحديثاً ولنقل: إن عقيدة الاختيار عقيدة دينية لها أدلتها النصية، ولها مرتكزاً فى قاعدة الإيمان اليهودي، ولها انعكاس فى سلوكها تجاه أنفسهم وتجاه الغير ، وطالما أن الاختيار عقيدة فلا يمكن أن يتنازل اليهود عنها حتى يتنازلوا عن يهوديتهم!

بفضل عقيدة الاختيار اشتهرت الديانة اليهودية، عبر التاريخ، بأنها ديانة غير تبشيرية أى: أنها ديانة لا تسعى إلى جعل رسالتها رسالة عالمية لكل البشرية[4].

تقترن عقيدة الاختيار بالأرض، وبما أنهم شعب الله المختار " فإن الأرض ملك لهم، ميراث أبدى، لهم حق التسلط عليها، ولهم مطلق التصرف في كل شيء فيها"[5].

وترتكز عقيدة الاختيار على أن الجنس اليهودي جنس قائم بذاته . وقد انحصرت الديانة اليهودية فيه، وعاشت معه ضمن أسوار" الجيتو"[6]، لأنه باعتقاده أفضل من بقية الأجناس البشرية[7].

وتعتبر هذه العقيدة أحد الأسباب التي أدت إلى عدم اندماج اليهود مع غيرهم، وانعزالهم فى أحياء سميت "

(1) جبر الهلول، المواثيق والعهود فى ممارسات اليهود: قراءة فى الفكر الدينى والفكر السياسى اليهودى المعاصر، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1، 1424هـ - 2004 م ،ص45-46.

(2) بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية،مرجع سابق، ص 66، محمد على الزغبي، دفائن النفس اليهودية من خلال الكتب المقدسة، مرجع سابق، ص 136.

(3) إشعيا: 61/ 8-9.

(4) د. محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 174.

(5) إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال، مكتبة الوعى العربي، مصر، د. ط، د.ت، ص 11 بتصرف.

(6) الجيتو: هو إسم أطلق على كل شارع أوحى تم جمع اليهود فيه بأمر ومنعوا من الخروج منه .الاسم هو إيطالي ويعتقد أنه مأخوذ عن جيتو وهو مصنع المدافع الذى كان فى فينيسيا عام 1916، وكان عدد من هذه الأحياء محاطاً بالأسوار لتأمين الموجود فيها وحمايتهم من المهاجمين وقد انتشر الجيتو المغلق جداً فى نهاية العصور الوسطى فى أسبانيا وإيطاليا وأروبا الشرقية وبدأت هذه الأحياء المغلقة ببعد الثورة الفرنسية، انظر: أفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، دار الجليل ،عمان، الأردن، ط1، 1988م، ص 98،وانظر: د. عبد الوهاب المسيري محمد، الأيدولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، 1982،ص 25-34.

(7) د. محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 173.



جيتو" حالمين باليوم الذى سيفرضون فيه سيطرتهم على العالم.

ثالثاً: الرد على التفضيل والاختيار من نصوصهم التي منحتهم لهم:

إن النصوص التي منحتهم هذا الاختيار هي نفسها التي جعلت لهذا الاختيار شروطا كما سأوضحها على النحو التالي:

1- شروط التفضيل والاختيار حسب العهد القديم:

بالرغم من ورود الاصطفاء صراحة، "إلا أن مسألة اصطفاء بنى إسرائيل واختيارهم الإلهي وتفضيلهم على العالمين تحتاج إلى تدقيق وبيان، إذ لا بد من الإشارة إلى أن ذلك كان مقيدا أو مشروطا فهو لا يتحقق إلا بتحقق شرطه وهو الإيمان بالله وطاعته وحفظ عهده ورعاية ميثاقه فإن فعلوا ذلك كانوا شعبا مختارا وإلا فليس ثمة اصطفاء لهم أو تفضيل"(1)؛ فلقد أناط العهد القديم الاختيار بالاستقامة وتحقيق التوحيد والتزام الشريعة، ولكن بنى إسرائيل لم ليتزموا بذلك بل أعرضوا عن ربهم بنص كتابهم كما سأبين فيما بعد.

يقول أحد الحاخامات: "يلجأ أصحاب التيار القومي للتوراة لتبرير سياسة العنف، والحق المطلق والمباشر بأرض الميعاد، والازدراء بكل الشعوب ما عدا الشعب المختار، هذا الكلام يحمل تناقضا واضحا. فاختيار إسرائيل والعهد بين الإله واليهود، لا يعنى مطلقا أن اليهود وحدهم لهم حقوق، فسفر التكوين يتكلم عن خلق الإنسان، لا عن خلق إبراهيم وسلالته، فالرب لم يخلق اليهود وإنما خلق الإنسان"(2).

إن فكرة الاختيار ما هي إلا نتيجة طبيعية لفكرة الوعد بالأرض؛ إذ الإله اختار بنى إسرائيل دون غيرهم لإقامة عهده معهم بمنحهم أرض كنعان ملكا أبديا لتكون عاصمتهم العالمية، واصبح الاختيار فى الفكر اليهودي أزليا غير قابل للنقد التزم اليهود بالوصايا أو لم يلتزموا فلا علاقة عندهم بين الأخلاق والاختيار(3). وهذا من تحريف أحبارهم للتوراة على مدى العصور والأيام.

لكن التفضيل والاختيار المزعوم له شروطا حسب ما يقدسونه من النصوص، على الرغم من كل هذا التزييف والتحريف والتزوير الذى أدخله حاخامات اليهود على ما جاءهم من وحى فلا يزال فى النصوص التى بين أيديهم ما يشهد أن الاصطفاء والاختيار والتفضيل منوط بالاستقامة والعمل بالوصايا وإقامة الناموس، وإلا حلت بهم اللعنة(4)، وهذه بعض النصوص التي تثبت أن هناك شروط للتفضيل، وأنهم لم يحققوها، ويكون تعلقهم بنصوص التفضيل تعلقا لا يصح:

(1) د. محمد عبد الله الشرقاوي، بحث فى مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2000م، صـ صـ 315-316.

(2) جان فرنسيس هلد، رحلة فى قلب إسرائيل (الشرخ)، ترجمة: حسان يوسف. دار المروج ،بيروت، 1986م، صـ 208، والحاخام المشار اليه اسمه: الفى.

(3) د. إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1988م، صـ 17.

(4) التثنية: 27-26 يقول النص: "مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا".

يقول العهد القديم: " فَاحْفَظِ الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ الْيَوْمَ لِتَعْمَلَهَا. وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذِهِ الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ، وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ... مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ..."(1).

وعن معنى الوصايا والفرائض، قال كثير من العلماء: "مضمون هذه العشر كلمات فى آيتين من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: 151-152 (2).

" هذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهذِهِ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، فَاحْفَظْ وَاعْمَلْ بِهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ. قَدْ وَاعَدْتَ الرَّبَّ الْيَوْمَ أَنْ يَكُونَ لَكَ إِلهًا، وَأَنْ تَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَتَسْمَعَ لِصَوْتِهِ. وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ"(3).

- فحفظ الوصايا شرط في:

1- أن يكون إسرائيل مستعليا على جميع قبائل الأرض: " وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، يَجْعَلُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ الْبَرَكَاتِ وَتُدْرِكُكَ، إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ"(4).

2- ويَجْعَلُ الرَّبُّ أَعْدَاءَكَ الْقَائِمِينَ عَلَيْكَ مُنْهَزِمِينَ أَمَامَكَ. فِي طَرِيق وَاحِدَةٍ يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ، وَفِي سَبْعِ طُرُق يَهْرُبُونَ أَمَامَكَ(5).

3- يبارك الرب في الأرض التى يعطيها ويقيمها شعبا مقدسا لنفسه وتخافه جميع شعوب الأرض: " وَيُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ، إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِهِ. فَيَرَى جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ اسْمَ الرَّبِّ قَدْ سُمِّيَ عَلَيْكَ وَيَخَافُونَ مِنْكَ. وَيَزِيدُكَ الرَّبُّ خَيْرًا فِي ثَمَرَةِ بَطْنِكَ وَثَمَرَةِ بَهَائِمِكَ وَثَمَرَةِ أَرْضِكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ أَنْ يُعْطِيَكَ"(6).

4- أن تمحى الأمم الأخرى ولا يُمحى: " فَتُقْرِضُ أُمَمًا كَثِيرَةً وَأَنْتَ لاَ تَقْتَرِضُ"(7).

---

(1) التثنية: 7/ 11-16.

(2) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م، جـ1، ص 263.

(3) التثنية: 26/ 16-19.

(4) المصدر السابق: 28/ 1-2.

(5) السابق نفسه: 28/ 7.

(6) نفسه: 28/ 8-11.

(7) نفسه: 28/ 12.

5- أن يكون إسرائيل رأسا لا ذنبا في ارتفاع ولا في انحطاط: " وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لاَ ذَنَبًا، وَتَكُونُ فِي الارْتِفَاعِ فَقَطْ وَلاَ تَكُونُ فِي الانْحِطَاطِ، إِذَا سَمِعْتَ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، لِتَحْفَظَ وَتَعْمَلَ"(1).

جماع القول: " فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"(2) وهذا النص شرط في الاصطفاء وتحقيق الاختيار.

وإن لم يحققوا الشروط يتحقق فيهم:" إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ"(3).

ويقول: " اُنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً: الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا"(4).

واللعنة تتنافى تماما مع الاختيار والتفضيل؛ إذ لا يمكن أن يكون المصطفى المختار ملعونا، والعقاب الطبيعي هنا هو سلب هذا التفضيل والاصطفاء المزعوم.

هذه النصوص السابقة تدل على أن التفضيل يأتي بسبب الامتثال لما شرع الله تعالى وأوامره لا لشيء آخر؛ إذ الخلق كلهم خلق الله.

(1) التثنية: 28/ 13.

(2) الخروج: 19/ 5-6.

(3) عاموس: 3/ 2.

(4) التثنية: 11/ 26-28.

ثانياً: اليهود وشروط الاختيار:

هذه بعض شروط التفضيل و الاختيار، فهل التزم بنو إسرائيل هذه الشروط التي فضلوا لما قاموا عليها وظلت متوافرة فيهم؟ أم أنهم التزموها فترة وتركوها ما بقوا ولم يفوا بالشروط فاستحق اللعن الذى يتناف مع الاختيار؟

الجواب على ذلك، أن تفضيلهم ثبت بالنصوص؛ لذا أترك الجواب أيضا للنصوص من كتابهم الذى يقدسونه لتحسم هي الجواب فأقول:

يقول العهد القديم: "هذَا الشَّعْبُ الشِّرِّيرُ الَّذِي يَأْبَى أَنْ يَسْمَعَ كَلاَمِي، الَّذِي يَسْلُكُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ وَيَسِيرُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدَهَا وَيَسْجُدَ لَهَا، يَصِيرُ كَهذِهِ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي لاَ تَصْلَحُ لِشَيْءٍ؛ لأَنَّهُ كَمَا تَلْتَصِقُ الْمِنْطَقَةُ بِحَقْوَيِ الإِنْسَانِ، هكَذَا أَلْصَقْتُ بِنَفْسِي كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ بَيْتِ يَهُوذَا، يَقُولُ الرَّبُّ، لِيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَاسْمًا وَفَخْرًا وَمَجْدًا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا"(5).

وجاء: "حِدْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَعْثَرْتُمْ كَثِيرِينَ بِالشَّرِيعَةِ. أَفْسَدْتُمْ عَهْدَ لاَوِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَأَنَا أَيْضًا صَيَّرْتُكُمْ مُحْتَقَرِينَ وَدَنِيئِينَ عِنْدَ كُلِّ الشَّعْبِ، كَمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَحْفَظُوا طُرُقِي بَلْ حَابَيْتُمْ فِي الشَّرِيعَةِ"(6). هكذا جاء الجواب في هذه النصوص حاسما فلم يقم اليهود بالشروط حتى يستحقوا هذا الاصطفاء والاختيار.

لكن إذا نظرنا إلى واقع بني إسرائيل في نصوص كتابهم لوجدنا أنهم لم يلتزموا بما أمرهم الله – تعالى- به بل نقضوا

(5) إرميا: 13/ 10-11.

(6) ملاخي: 2/ 8-9، كيف يكون المفضل المصطفى محتقرا ودنيئا؟!!.



ما عهدوا الله عليه، وأول ما نقضوا الوصايا العشر التي تضمنها الكتاب المقدس موصية إياهم: " لاَ تَقْتُل. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"(1).

ثالثاً: نصوص تلعنهم وتنفى عنهم صفة الاختيار:

ولقد جاءت نصوص العهد القديم تحمل شهادة الرب عليهم باستحقاقهم اللعن فتقول:" اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ . رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ. وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ"(2).

هذه بعض النصوص من كتابهم الذى يقدسونه تلعنهم وتنفى عنهم صفة الاختيار، ولكن اليهود يؤولنها لصالحهم دائما، ويقولون: إنها دعوة لهم للعودة والاستقامة على أمر الشريعة.

فالاختيار مشروط في التوراة، كما بينت النصوص السابقة. وفى رواية أخرى مفصلة للشروط نجد ما يلى:

"لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ.إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلاَمًا فِي الأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ. وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رَبْوَةً، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. وَأَلْتَفِتُ إِلَيْكُمْ وَأُثْمِرُكُمْ وَأُكَثِّرُكُمْ وَأَفِي مِيثَاقِي مَعَكُمْ"(3).

فإذا لم يقم بنو إسرائيل بالوصايا والفرائض، فلا عهد لهم عند الرب ولا اختيار، وبقية الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين تؤكد ذلك.

و في سفر التثنية يتم التأكيد على شروط العهد والاختيار فإذا قام الشعب بأركان العهد أوفى الرب بما عليهم تجاههم، والإصحاح السادس كله يوكد على المطلوب تنفيذه من بنى إسرائيل(4).

وتفيدنا أسفار العهد القديم أن بنى إسرائيل قد صنعوا التماثيل وعبدوها وأنهم لم يحفظوا السبوت، ولم يحفظوا وصاياه ولم يعملوا بها.

المبحث الثاني:

موقف الإسلام من عقيدة الاختيار والتفضيل:

خلق الله تعالى الناس من أصل واحد، وأراهم بالتقوى – وهى العمل بطاعته والكف عن معصيته- مشيرا بذلك

(1) الخروج: 20/ 13-17، التثنية: 5/ 17- 21.

(2) إشعياء: 1/ 2-3.

(3) اللاويين: 26/ 1-9.

(4) التثنية :6.



إلى عمدة التفاضل بينهم وأساسه، فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء:1)، ثم أكد ذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات:13)، فأمرهم بالتعارف منبها على التنافس الشريف بين الشعوب والأفراد في التقوى التي من التزم بها استحق التفضيل بغض النظر عن عنصره، أو جنسه، أو لونه ؛ فأكرم الناس أتقاهم، والسياق القرآني بين أن التفضيل لأهل التقوى بعد أن نادى الناس جميعا مذكرا إياهم أن أصلهم واحد، ليأتي- بهذا السياق الرائع- على العنصرية من قواعدها.

لقد محق الإسلام امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير، فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة ولقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم حين خطب في جمع الحجيج بمني وهو على بعيرة فقال: "**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ، إِلا بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، ... وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**"(1).

وقال صلى الله عليه وسلم: " **يا أبا أمامة ما أنا وأمة سفعاء الخدين ... آمنت بربها وتحننت على ولدها إلا كهاتين، وفرق بين السبابة والوسطى، والله أذهب فخر الجاهلية وتكبرها بآبائها، كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فمن أتاكم ترضون دينه وأمانته فزوجوه**"(2).

ولا نجد من الأديان ما لا يجمع أطراف القاعدة: "فالبرهمية قسمت الناس إلى طبقات، واليهودية فضلت شعب إسرائيل على بقية الشعوب"(3).

---

(1) الحافظ نور الدين الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد الحارث بن أبي أسامة، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكرى، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط، 1413هـ- 1992م، جـ1، صـ 193، حديث رقم :51، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ-1981م، جـ3، صـ 93، حديث رقم: 5652، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، جـ4، صـ289.

(2) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، مرجع سابق، جـ 4، صـ 288، حديث رقم: 5136، وفيه سالم بن سالم البلخي غير قوي وقد رواه عن رجل مجهول، والسفعاء المرأة الشاحبة التى فى وجهها سواد وتغير، الصاع: مكيال المدينة تقدر به الحبوب وسعته أربعة أمداد، والمد: هو ما يملأ الكفين .

(3) د. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط9، 1401هـ -1981م، صـ 73- 74 بتصرف يسير.

لقد أعلن الإسلام الناس بالوحدة، ومن مقتضياتها المساواة بين بنى الإنسان فى الحقوق والواجبات والعدل هو الشعار الصادق لهذه الوحدة، يكون حيث تكون ويفقد حيث تفقد.

ولذا وجب أن بكون الفروق الشخصية فى نظرة الإسلام – بمنأى عن محيط الوحدة، وكان العدل شعارها الدال عليها، وسورها المحدد لها، لزم أن تكون تلك الفروق بمنأى –كذلك– عن محيط العدل، ويستوى فيه القوى والضعيف، والغنى والفقير، والقريب والبعيد، والمسلم وغير مسلم: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (سورة النساء: 135)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: 8).

إن تقديم فرد على فرد أو أمة على أمة لا بد أن يكون مبنيا على كمال ذاتي وسُمو خُلقي وصلاح ديني، ليقدم المختار الخير للإنسانية، فما وجه الكمال الذاتي الذى حاذه اليهود؟ وما السمو الخلقي الذى بلغوه؟ وما مدى الصلاح الديني الذى تمسكوا به وثبتوا عليه ليختارهم الله من بين خلقه، ويصطفيهم من بين عباده، فيحل لهم ما حرم على غيرهم فى الدنيا، وتكون لهم الأرض ومن عليها؟

ولما أخبر تعالى أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، يقول تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران: 110)، فهمه المسلمون في كل عصر أنه بقدر ما هو تشريف فهو تكليف، يضع على كاهل الأمة المسلمة في الأرض واجبا ثقيلا، ويفردها بمكان خاص لا تبلغ إليه أمة أخرى ولكنها خيرية ليست مطلقة ولكن مشروطة بـ ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، ففي اول مقتضيات هذا المكان – مكان الخيرية–: أن تقوم على صيانة هذه الحياة من الشر والفساد...... وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهي خير أمة خرجت للناس لا عن مجاملة أو محاباة، ولا عن مصادفة أو جزاف – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– وإنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف[1]، وهى خير أمة للناس، وليست من الناس، أي خيرها متعد لغيرها، وليس تفضيلا على الناس كما هو الحال فى المفهوم اليهودي.

ولم يجد في عصر من العصور من قال بأن خيرية الأمة الإسلامية إنما هي لبنوتهم لله– تعالى عن ذلك – ولا نسب بينهم وبينه، أو لأنها أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو لنسب بينها وبينه. ولم يقتصر هذا على العرب وحدهم" فمن اتصف في هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليه والمدح، ويتضح ذلك من قول

(1) عبد العاطي رياض السيد، عقيدة الأرض لدى اليهود وأثرها فى ممارسات اليهود الحالية وموقف الإسلام منها، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، معهد الدارسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، 1434هـ - 3013م ،ص222.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، لما رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله فيها"(1)، وأنت تعرف لأن الحج يجمع أطياف الأمة على اختلاف أجناسها.

وقد حرص القرآن الكريم على تذكير الآمة الإسلامية بأن خيرتها مرتبطة بأداء واجبها فإذا ما تخلت عنه استبدلها الله عز وجل بأمة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ (سورة محمد: من الآية:38). وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة: 54.).

ويوم أن حدث بين المسلمين وأهل الكتاب – وقت نزول القرآن – جدال في: أي الأمم خير وأحق بدخول الجنة؟ وزعمت كل طائفة لنفسها الأفضلية، وادعى أناس أنهم أحق بنعيم الله من دون الناس بين لهم القرآن الكريم مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة فى الحقوق والوجبات وجاء الرد الحاسم قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (سورة النساء: 123-124).

هذا كلام رب العالمين – الذى لا يعجزه شيء في السموات و الأرض – يقرر أنه يختار الأمة من الأمم، ويرفع أو يضع منزلتها بمقدار طاعتها له تعالى.

وما أكده القرآن الكريم أكدته نصوص العهد القديم إذ تقول:

- " وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ"(2).

- " لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ دَهْرِيَّةٌ فِي أَجْيَالِكُمْ. مَثَلُكُمْ يَكُونُ مَثَلَ الْغَرِيبِ أَمَامَ الرَّبِّ. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ"(3).

- " لِلْوَطَنِيِّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ بَيْنَهُمْ تَكُونُ شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْعَامِلِ بِسَهْوٍ. وَأَمَّا النَّفْسُ الَّتِي تَعْمَلُ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ مِنَ الْوَطَنِيِّينَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ فَهِيَ تَزْدَرِي بِالرَّبِّ. فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهَا"(4).

- "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ"(5). فهذ النصوص تسوى بينهم وبين غيرهم من

(1) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (أبو الفداء) (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ - 1999 م، جـ 2، صـ 110.

(2) العدد: 9/ 14.

(3) العدد: 15/ 15- 16.

(4) العدد: 15/ 29- 30.

(5) اللاويين: 19/ 33-34.



الناس في الحكم الله، فلا يختص الخير بهم وحسب نصوصهم.

ومما يجدر ذكر أن بعض الفلاسفة اليهود قد تأثروا بالموقف الإسلامي من فكرة الشعب المختار فرفضوها: فهذا الفيلسوف اليهودي اسبينوزا[1]، الذى قال: إن الإله مرتبط بجميع شعوب الإنسانية، وأن شعب الله المختار هو هذه الشعوب جميعا حين تنبذ خلافاتها وأحقادها وتتوحد شعبا إنسانيا واحدا[2].

ويقول أحد علماء اللاهوت: " إن فكرة الشعب المختار تعتبر تاريخيا مسألة طفولية، وسياسيا إجرامية، وفكريا غير مقبولة. لأن بعض مختارون والباقي مستبعدون، وأي سياسة تزعم أنها تقوم على هذه الأسطورة، تؤدى حتما إلى إلغاء ورفض الآخر، ويقول، إن الدولة الإسرائيلية ليس لها أي حق، في أن تزعم أنها الإنجاز النهائي للرسالة الدينية"[3].

أولاً: تفضيلهم المشروط إنما كان على عالمي زمانهم:

ولا ريب أن الله تعالى قد جعل في ذرية إبراهيم وإسحاق – عليهما السلام– النبوة والكتاب، وبنو إسرائيل شعب كسائر الشعوب التي خلقها الله، فيهم الصالح وفيهم الفاسد، ولا أن الله فضل الصالحين منهم على العالمين في ذلك الزمان، فكاموا هم الأمة المختارة .

ولقد ورد في القرآن الكريم لفظ التفضيل ولم يرد لفظ الاختيار إلا مرة واحدة وقد أخذ اليهود هذا اللفظ من التوراة، ولكن مراد القرآن الكريم من معنى التفضيل الوارد، فلننظر إلى الآيات وبعد ذلك نعرف:

– هل فضل بنو إسرائيل على غيرهم ؟ ومتى كان هذا التفضيل؟.

– هل كان لهذا التفضيل أسباب وشروط، أم أنهم فُضلوا لمجرد نسبهم؟

– هل تحققت تلك الشروط فيهم؟، وإن كانت تحققت في زمن ما، فهل ما زالت متحققة فيهم إلى الآن؟.

الجواب: لقد أثبت القرآن الكريم أن بنى إسرائيل فضلوا على غيرهم من الناس قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾(سورة السجدة: 23-34)، قال تعالى ﴿ **قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾(سورة الأعراف: 140)، وقال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (سورة الجاثية: 16).

قال عن إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ**

(1) اسبينوزا هو: أحد الفلاسفة المعاصرين وكانت له نظريات نقدية فى الدين اليهودي هيجت عليه اليهود ويعتبر من رواد نقد العهد القديم ورفض الإيمان بالمعجزات لأنه يتنافى مع قانون الطبيعة، انظر: د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ،. دار الشروق، القاهرة، 1999م، ص ص 380-381.

(2) انظر: د.أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد فبراير 1984م،ص 58.

(3) روجيه جارودى ، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ - 1999م، ص 103، والمشار إليه هو أندريه لودوز.



﴿ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾(سورة الصافات: 112- 113)، فليس طلهم محسن، ولا كلهم ظالم فأين التفضيل المطلق لكل سلالة، ونظرية البقية التى أثبتها كتابهم تدحض ذلك.

لذلك نجد أن هذا التفضيل كان منوط بصلاحهم، ومشروط باستقامتهم وإحسانهم، فإذا غيرو وبدلوا ما بأنفسهم غير الله تعالىما بهم من نعمة التفضيل .

قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ (سورة البقرة: 40)، وقال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ (سورة البقرة: 47- 48).

في الآيات السابقة دلالة على تفضيل بنى اسرائيل على العالمين، بل وأنعم الله تعالى عليهم فجعل منهم أنبياء وملوكا وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين، وفى ذلك يقول: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة المائدة: 20)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الدخان: 32-33). وتفسير هذه الاية: " أن الله اختارهم على عالمي زمانهم على علم منه باستحقاقهم لذلك، وليس المراد أنه أختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه الآية – كنتم خير أمة أخرجت للناس"[1].

والمستعرض لتاريخ بنى إسرائيل يأخذه العجب من فيض الآلاء التي أفاض الله تعالى عليهم، ومن الجحود المنكر المتكرر الذى قابلوا به هذا الفيض المدرار فقد تطاولوا على الله تعالى فزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ورد عيلهم المولى عز وجل بانهم ليسوا كذلك ولا ميزة لهم بشيء، وأنهم بشر ممن خلق يعذب المسيء منهم ويجزى محسنهم إحسانا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (سورة المائد: 18).

إذن قضية التفضيل ثابته بنص القرآن الكريم، ولكن السؤال الذى يلح في الطرح: هل هذا التفضيل مطلق غير مقيد بزمن ولا سبب؟ أم كان على عالمي زمانهم، وبعدها استحقوا اللعن بسبب فعالهم؟.

ثانياً: نصوص القرآن التي أثبت لهم التفضيل تلعنهم:

أن هذه التقريرات القرآنية جاءت في معرض التذكير لمن عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل بسالف نعم الله تعالى على آبائهم واسلافهم بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالمي من كان في زمانهم، فإن

(1) الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى (1250هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: يوسف الغواش ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ – 2007م، جـ 25، صـ 1352.



لكل زمان عالما، وكان هذا التذكير بتلك النعم شرف لهم وحسن سمعة، تعود عليهم وتعزيهم بالإيمان والطاعة لو كانوا يعقلون[1].

وإننا نجد مفهوم التفضيل الرباني مفهوما يقوم على أساس حمل الرسالة وحمل الأمانة، ولذلك لما لم يحملها بنو إسرائيل وزاغت قلوبهم حكم الله عليه باللعنة، وهذا الحكم الرباني ينفى كل مزاعمهم حول الاختيار يقول تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (سورة المائد: 78).

وقوله تعالى ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة: 60).

وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (سورة الأعراف: 167).

وقال تعالى ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (سورة آل عمران: 112).

وهذا هو الجزاء الرباني لهم بعد هذا التفضيل وهذه النعم وكثرة الانبياء فعندما لم يقدروها حق قدرها، وقوله عز وجل فيهم: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة الصف: 5).

بل إن آيات اللعن الخاصة باليهود صراحة تثير العجب من احتقار الله لهم واستحقاقهم لذلك، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة البقرة :88).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(سورة البقرة :89).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(سورة البقرة:159).

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾(سورة آل عمران:87).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾(سورة النساء: 47).

وهكذا يظهر لنا سقوط هذه الدعوى وتهافتها، بل أن هناك في العهد القديم نصوص كثير تلعن اليهود، وبهذا قد اتفقت نصوص المتابين في استحقاق اليهود اللعن والطرد مما يجعل دعواهم في الاصطفاء والوعود بالأرض دعوى

---

(1) انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (أبو الفداء)(774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م، ص 158.



ساقطة متهافتة لا تصمد بحال أمام الأدلة لأننا رأينا من خلال هذه النصوص كيف ضل هذا الشعب وانحرف، وهى نصوص فيها من القسوة عليهم لما يستحقونه ولما قاموا به من الإجرام.

ثم أنهم غيروا وبدلوا وحرفوا التوراة، وقتلوا الأنبياء فكام جزائهم ما ذكره الله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾(البقرة: 61).

ومعنى الآية " هذا الذى جازيناهم به من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب بهم، بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حملة الشرع، وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصهم إلى أن افضى بهم الحال أن قتلوهم، فلا كفر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق"[(1)].

هذه النصوص وغيرها الكثير المذكور في مواضعها ضمن هذا البحث – تدل دلالة واضحة على أن بنى إسرائيل– فيما يخص التفضيل من عدمه– مخيرون بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: أنهم يستحقون الاختيار، وأن تحل البركة عليهم شريطة امتثال الأوامر بعبادة الله تعالىوطاعته التي هي الركيزة الأساسية للتفضيل حسب نصوصهم.

الثاني: أن تحل اللعنة والبركة إن زاغوا عن الطريق، ولم يعملوا بالوصايا، وأنهم متى حادوا عن أسباب الاصطفاء انتقضت دعواهم بالتفضيل على العالمين بشهادة كتبهم على ذلك.

ولقد ناقشهم القرآن الكريم فى دعواهم مناقشة منطقية فيقول: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(سورة الجمعة: 6-7)، فبين أن ما يدعيه اليهود من إفراد الله تعالى لهم بولايته وحبه واختياره لهم ما هو إلا مجرد زعم باطل إذ لو كان حقا لتمنوا الموت حتى يلقوا محبوبهم إن كانوا صادقين، ولكن القرآن يعقب بصراحة ووضوح أنهم لن يتمنوا الموت معللا ذلك بما قدمت أيديهم من آثام وشرور، ولعلمه تعالى أنهم كاذبون في دعواهم لذا أخبر عنهم بقوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(سورة البقرة: 96).

بل إن إطلاق الاصطفاء والاختيار لهم بدون قيد أو شرط أمر يتنافى وعدل الله تعالىفالله أبدا ما فضل بسبب عرق ولا نسب، وهذا ثابت فى سياق التفضيل نفسه فبعد آية التفضيل ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: 47)، ويقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (سورة البقرة :123)، ويتضرع إليه

(1) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (أبو الفداء، ت: 774ه)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط1، 1410ه - 1989م، جـ 1، صـ 138.

إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته أئمة كما جعله إماما؛ فبين له الله تعالىأن هذا العهد لا ينال الظالمين مهما كان نسبهم فيقول: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة :124).

وفى هذا دلالة لا يخالجها شك أن عهود الله تعالىووعوده وتفضيله لا يناله الظالمون بل يناله من نال البركة بإقامة العدل والتزام الشرع ويتضح من ذلك أن التفضل ليس مرهونا بجنس دون جنس ولا بسلالة دون أخرى فلا دخل للعنصر، أو العرق، أو النوع، او اللون في قضية الاختيار، بل – الاختيار، والتفضيل – مرهون بالإيمان وإقامة الشرع.

ولقد كان الاختيار لبنى اسرائيل تكليفا لهم، واختبارا وابتلاء أيشكرون أم يكفرون، ولهذا قرن القرآن الكريم بين الاختيار والاختبار معا فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الدخان: 32–33).، والبلاء هو الاختبار، والله قد يختبر عباده بالنعم كما يختبرهم بالنقم، ولكن اليهود أخفقوا فى اختبارهم، فلم يشكروا نعمة اختبار الله لهم، وإنما انحرفوا عن منهج الله، وحرفوا كتبهن وكذبوا رسلهن وهنا غضب الله عليهم ووقع عليهم الوعيد الوارد فى نص كتابهم المقدس " وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا"(1)؛ فلعنهم وعدد مساوئهم وكفرهم.

وهذا اللعن بسبب عصيانهم ومخالفتهم لشرع الله فلم ينفعهم نسبهم إلى آبائهم من الأنبياء الكرام في ذلك الوقت شيئا، مما يدل على أن قضية المعتقد هى الفيصل والحكم في المسألة.

ولقد وصفهم القرآن الكريم بالمفسدين وذلك بعد ذكره لمقالتهم في حق الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾(سورة المائدة: 64– 66).

والعبرة التي نستخلصها من هذه الآيات وأمثالها: " أن الله تعالى فضل بنى إسرائيل على غيرهم من الامم السابقة على الأمة الإسلامية، ومنحهم الكثير من النعم، ولكنهم لم يقابلوا ذلك بالشكر، بال قابلوه بالتمرد والبطر، فسلب الله عنهم ما حباهم من نعم، وصفهم في كتابه بأقبح الصفات واسواء الطباع، كقسوة القلب ونقض العهد والتهالك على الشهوات، والتعدي على الغير والتحايل

(1) التثنية: 11/ 26–28.



على استحلال محارم الله، ونبذهم للحق وأتباعهم للباطل.....إلى غير ذلك من الصفات التي وراد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا مصير كل أمة بدلت نعمة الله كفرا، لأن الميزان عند الله للتقوى والعمل الصالح وليس للجنس او اللون أو النسب"[1].

ما مر من وعود بالتفضيل والاختيار في نصوصهم أو في نصوصنا نحن المسلمين فإن الأساس الذى يقيم عليه هؤلاء حجتهم بأنهم قد اختيروا من الله تعالىعلى الناس اجمعين أمر لا يصح على إطلاقه، إنما له شروطه التي لم يلتزم بها بنو إسرائيل.

الخاتمة

توصل الباحث فى ختام البحث إلى عدد من النقاط ؛ أهمها:

1- الاختيار والتفضيل عقيدة دينية لها أدلتها النصية عندهم، ولها مرتكز في قاعدة الإيمان اليهودي، ولها انعكاس في سلوكهم تجاه أنفسهم وتجاه الغير. وطالما أن الاختيار والاصطفاء عقيدة فلا يمكن أن يتنازل اليهود عنها حتي يتنازلوا عن يهوديتهم!.

2- والنصوص التي تناولت عقيدة الاختيار والتفضيل من خلال العهد القديم والتلمود ؛ جعلت من الجنس اليهودي جنسا مميزاً عن الأجناس البشرية الأخرى في التكوين والمكانة وطريقة التعامل مع غير اليهود، وأن الجنس اليهودي جنس قائم بذاته !.

3- وجاء الاختيار والتفضيل مشروطا في التوراة وفى القرآن الكريم، ولم يلتزم اليهود بهذه الشروط.

4- بفضل عقيدة الاختيار اشتهرت الديانة اليهودية، عبر التاريخ بأنها ديانة غير تبشيرية أي أنها ديانة لا تسعي إلي جعل رسالتها رسالة عالمية لكل البشرية.

5- تعتبر هذه العقيدة أحد الأسباب التي أدت إلي عدم اندماج اليهود مع غيرهم، وانعزالهم في أحياء سميت "جيتو " حالمين باليوم الذي سيفرضون فيه سيطرتهم علي العالم كله.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم .

2- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1982 م.

3- إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال، مكتبة الوعى العربي، مصر، د. ط، د.ت.

4- أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا،، ط1، 1427 هـ - 2006م.

5- أحمد بن عبدالله بن إبراهيم الزغبي. العنصرية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1418،1هـ - 1998م.

6- أحمد بن محمد بن على الفيومي المقرئ (770هـ)، المصباح المنير، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بدون تاريخ.

7- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (الفداء)(774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي

(1) د. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار الرسالة، القاهرة، 1987م، جـ 1، صـ 150 بتصرف.



بن محمد سلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ - 1999 م.

8- إسماعيل راجى الفاروقي، أصول الصهيونية فى الدين اليهودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1988م.

9- أفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، دار الجليل، عمان، الأردن، ط1، 1988م.

10- أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد فبراير 1984م.

11- البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد ملحم، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م.

12- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.

13- أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، مطبعة الحلبي، بدون تاريخ.

14- بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ - 1983م.

15- جان فرنسيس هلد، رحلة فى قلب إسرائيل (الشرخ)، ترجمة: حسان يوسف. دار المروج ،بيروت، 1986م.

16- جبر الهلول، المواثيق والعهود فى ممارسات اليهود: قراءة فى الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1، 1424هـ - 2004 م.

17- الحافظ نور الدين الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد الحارث بن أبي أسامة، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكرى، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط، 1413هـ- 1992م.

18- حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار: القلم، دمشق، دار: العلوم، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.

19- أبو الحسين احمد بن فارس (ت 395هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار: الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ - 1979م.

20- روجيه جارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ - 1999م.

21- روهلنج، الكنز المرصود فى قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف نصر الله، تقديم: د. مصطفى أحمد الزرقا، د. حسن ظاظا، دار: القلم دمشق، ط1، 1408هـ - 1987م.

22- شاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م .

23- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) تحقيق: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، العين، دار: الرشيد، بغداد، 1402هـ - 1982م.

24- عبد العاطي رياض السيد، عقيدة الأرض لدى اليهود وأثرها فى ممارسات اليهود الحالية وموقف الإسلام منها، رسالة دكتوراه، المعهد الآسيوي، جامعة الزقازيق، 1434هـ - 3013م.



25- عبد العظيم المطعني، المسيحيون والمسلمون فى تلمود اليهود (غرائب وعجائب)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1996.

26- عبد الوهاب المسيري محمد، الأيدولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، 1982.

27- عبد الوهاب المسيري محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار: الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.

28- عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، دار القلم، دمشق، د.ت، د.ط.

29- علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ-1981م.

30- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419هـ - 1998م.

31- كمال عون، اليهود أعداء الإنسانية من كتابهم المقدس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ - 1995م .الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف حنا نصرالله، مطبعة المعارف، مصر، ط1، 1899م .

32- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة رسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 1426هـ - 2005م.

33- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، من التلمود، طبع دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

34- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط9، 1401هـ -1981م.

35- محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد 20، القاهرة.

36- محمد بن على بن محمد الشوكانى (1250هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: يوسف الغواش ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ - 2007م .

37- محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، د.ت.

38- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار الرسالة، القاهرة، 1987م.

39- محمد عبد الله الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، 1990م.

40- محمد عبد الله الشرقاوي، بحث في مقارنة الأديان، دار: الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000م.

41- محمد عبد الواحد حجازي، منهج اليهود في تزييف التاريخ، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، د. ت.

42- محمد عزة دروزة، الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم، مكتبة أطلس، دمشق، 1388هـ -1969م.



ISSN: 2462-2508

43- ابن منظور(711هـ)، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط1،د.ت.

44- هند بنت دخيل الله القثامي، أثر عقيدة اليهود فى موقفهم من الأمم الأخرى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420 - 1421هـ، صـ 153.